

## الفصل السادس

### جمال الدين الأفغانى

### (التفكير الاصلاحى)

- ١ - حياته
- ٢ - أهم كتبه ومؤلفاته
- ٣ - دعوته الدينية
- ٤ - دعوته وفكره الفلسفى
- ٥ - ملاحظات نقدية
- ٦ - فكر جمال الدين الأفغانى
- ٧ - أهداف الأفغانى
- ٨ - دعوته السياسية

## جمال الدين الأفغانى G. ALafghani

(١٨٣٨ - ١٨٩٧م)

### ١ - حياته ومؤلفاته:

تعددت الآراء حول تساة جمال الدين الأفغانى ، فهناك فريق يرى أنه إيرانى الأصل أفغانى النشأة، وهناك فريق آخر يرى أنه أفغانى الأصل والنشأة.

أما أصحاب الرأى الأول وهم الشيعة فى إيران والعراق فيقولون أنه ولد فى قرية «أسد أباد» بإيران. وعلى ذلك فمذهبه شيعى. ويقدم أصحاب هذا الرأى بعض الروايات التى تؤكد وجهة نظرهم ومنها أنه توجد مدرسة اسمها المدرسة «الجمالية» فى قرية «أسد أباد» التى ولد فيها الأفغانى ، وأن له فى هذه القرية أقارب. ومنها أيضا أنه كان يحمل جواز سفر إيرانى. وله كذلك بعض الوثائق والمذكرات التى كتبها باللغة الفارسية.

ولكن بالرغم من ذلك فإن أصحاب الرأى الثانى يقولون إن هذه الروايات لا تنهض دليلا قويا على أصله الأيرانى. فنسبة المدرسة اليه قد لا يكون أكثر من مجرد تكريم لزعيم دينى أوقف جهده وعلمه للإسلام ، أما عن وجود الأقارب فى إيران فيرجعونه إلى صلة الجوار بين إيران وأفغانستان وانتقال الأسر إلى كل من البلدين بحكم هذا الجوار. أما عن جواز السفر الإيرانى فقد يكون راجعا إلى أن جمال الدين كان زعيما إسلاميا تخدمه وتقدره كل الدول الإسلامية.

أما أصحاب الرأى الثانى وهم أهل السنة ، فيقولون أنه أفغانى الأصل والنشأة: سنى المذهب. وكان دليلهم على ذلك رأى تلاميذه فيه وما كتبوه عن نشأته وأصله وخاصة تلميذه الوفى الأمام محمد عبده. وكذلك ما كتبه هو عن نفسه فى كتابه «خاطرات جمال الدين».

وعلى كل حال نجد أن معظم الورخين لسيرة جمال الدين يرجعون أصله إلى الأفغان. وعلى ذلك فهو ولد عام ١٨٣٨م فى قرية «أسد أباد» بالقرب من «كند» من أعمال «كابول» عاصمة أفغانستان. ويرجع المؤرخون نسبه إلى «الحسين بن على بن أبى طالب» حفيد الرسول ولذلك يسمى أحيانا بأسم «جمال الدين الحسينى الأفغانى» وعلى ذلك فأسرتة لها منزلة شريفة ومكانة اجتماعية وسياسية بارزة حيث كان لها السيادة على جزء من أفغانستان تستقل فيه بالحكم.

انتقل به والده إلى «كابول» العاصمة وعمره آنذاك حوالى الثامنة فقام على تربيته وتعليمه فدرس علوم اللغة العربية وعلوم الشريعة والتصوف والتاريخ كما كان له ميول نحو الفنون العسكرية. ولم يكتف جمال الدين بهذه العلوم. ولكنه أراد التزود بقدر أكبر من المعرفة فغادر أفغانستان إلى الهند حيث أقام بها حوالى سنة وبضعة شهور يتجول فى مدنها ويتزود بالمعرفة والثقافة. ثم بعد ذلك سافر من الهند إلى بلاد الحجاز حيث وصل مكة المكرمة فى عام ١٨٥٧م وعمره آنذاك حوالى التاسعة عشرة. وقد أدى فريضة الحج، كما التقى ببعض زعماء الإسلام فى ذلك الوقت أمثال «محمد بن عبد الوهاب» صاحب الدعوة الوهابية، و«محمد بن السنوسى» ومن خلال رؤيته لتجمع المسلمين فى موسم

الحج نبتت لديه فكرة إنشاء «الجامعة الإسلامية» التي أخذ يدعو إليها جمال الدين الأفغانى بعد ذلك بوقت متأخر وبعد أن أدى فريضة الحج عاد إلى وطنه أفغانستان حيث اشترك فى الحرب الداخلية على السلطة والحكم إلى جانب «الأمير محمد أعظم» وكان عمره فى ذلك الوقت السابعة والعشرين. وبعد انتصار «محمد أعظم» وإستيلائه على السلطة والحكم عين جمال الدين كبير وزرائه ولكن الاستعمار الإنجليزى قام بتدبير المؤامرات ضد «محمد أعظم» الذى ترك الحكم تجنباً لأراقة الدماء وهاجر إلى مدينة «نيسابور» حيث مات بعد عدة شهور. وخلال هذه الفترة تكونت آراء جمال الدين السياسية وكرهيته للإنجليز والاستعمار بصفة عامة فقام يحث الشعب الأفغانى ضد الإنجليز وبث فيه روح الوطنية والحرية.

ولم تعجب أعمال جمال الدين «الأمير شير على» الذى تولى الحكم بعد «محمد أعظم» وكذلك لم تعجب أعماله المستعمر الإنجليزى. ولما أحس جمال الدين بما يكرهه له الأمير والإنجليز من كراهية استأذن فى السفر إلى الحج، فإذن له الأمير بشرط ألا يمر بأيران، فسافر إلى الهند حيث رحب به المسلمون فيها وأخذ يحثهم فى أحاديثه على محاربة الأستعمار الأنجليزى حتى ينالوا استقلالهم. ولكن الحكومة الإنجليزية فى الهند أمرته بمغادرة الهند فسافر منها إلى مصر وكان ذلك فى أوائل عام ١٨٧٠م ولم يمكث فى مصر سوى أربعين يوماً غادرها إلى تركيا تلبية لدعوة السلطان التركى. وفى تركيا قام بإلقاء بعض الدروس العلمية ثم تحول إلى الأحاديث السياسية التى كان يلقيها على عدد كبير من الشباب الذين تأثروا بمبادئه الحرة وآرائه السياسية.

ولكنه ترك تركيا وعاد ثانية إلى مصر فى أول مارس عام ١٨٧١م حيث استقر به المقام فيها وكان عمره آنذاك حوالى الثانية والثلاثين. وقد بقى فى مصر هذه المرة حوالى ثمانى سنوات التقى فيها بكثير من رجالها وشبابها وألقى فيهم الدروس المختلفة، فنضجت أفكاره السياسية، وتبلورت آراؤه الإصلاحية وكانت هذه السنوات من أعظم السنوات فى حياته وحياته مصر. بل وحياة العالم الإسلامى كله.

ونظرا لتأثيره الكبير فى مصر والمصريين أصدرت الحكومة أثناء حكم الخديو توفيق أمرا بأبعاده عن مصر بحجة أنه يرأس جمعية سرية من الشبان، وكان ذلك فى شهر أغسطس فشلت ودخل الإنجليز مصر فى عام ١٨٨٢م وقد شعر الإنجليز بخطر وجود جمال الدين فى الهند فأحاطوه أولا بالجواسيس ثم أمروه بمغادرة الهند، فغادرها إلى لندن.

وقد كتب وهو فى طريقه إلى لندن من ميناء بورسعيد رسالة إلى تلميذه الشيخ محمد عبده يخبره بذهابه إلى لندن، ولكنه لم يقم فيها إلا قليلا حيث غادرها إلى باريس، وظل بها حوالى ثلاث سنوات. التقى خلالها بالشيخ محمد عبده حيث كونا سويا «جمعية العروة الوثقى» وأصدرا معا جريدة «العروة الوثقى» التى هاجما فيها الاستعمار الإنجليزى وحثا الدول الإسلامية كلها إلى محاربة الاستعمار الإنجليزى.

وفى باريس ذاع صيت جمال الدين فى أوروبا وفى العالم الإسلامى وانتشرت دعوته الدينية وخاصة انشاء الجامعة الإسلامية، ونضجت آراؤه السياسية. وأخذ ينتقل بين بعض البلدان، حتى أنتهى به المقام فى مدينة الأسيتانة بتركيا حتى مرض بالسرطان وتوفى فى صبيحة يوم ٩ مارس عام ١٨٩٧م.

وقد ظل جثمان جمال الدين الأفغانى مدفونا فى مدفنه مجهولا حوالى ثلاثين سنة حتى أكتشف مقبرته المستشرق الأمريكى «كراين» عام ١٩٢٦م فقام «كراين» ببناء مقبرة من الرخام فوق قبره، وفى عام ١٩٤٤م نقل رفات جمال الدين الأفغانى إلى وطنه الأصلى بلاد أفغانستان. وهكذا أنتهت حياة رجل عظيم من عظماء الدين الإسلامى، وكان لآرائه وتعاليمه الإصلاحية أثر كبير فى تخليص الدين من شوائب ونهضة العالم الإسلامى.

ومن الجدير بالذكر هنا أن نشير إلى بعض تلاميذه الذين تأثروا به ونقلوا عنه وأكملوا رسالته وأهمهم: محمد عبده، يعقوب بن صنوع، عبدالله النديم، محمد رشيد رضا، محمد إقبال.

## ٢ - أهم كتبه ومؤلفاته:

أما عن مؤلفاته فيمكن القول أنه لم يترك كثيرا من الكتب والمؤلفات، ويرجع ذلك إلى قلة الوقت الذى يساعده على التأليف. وأهم مؤلفاته هى:

أ - الرد على الدهريين: كتبها باللغة الفارسية ثم ترجمها إلى العربية الشيخ محمد عبده بمساعدة «عارف بن تراب» تابع جمال الدين.

ب - تتمة البيان فى تاريخ الأفغان: وقد وصف فيه تاريخ بلاد الأفغان وحالتها السياسية والأقتصادية والاجتماعية، وقد اهتمت الصحف الإنجليزية بهذا الكتاب.

ويقال إن جمال الدين الأفغانى كتب كتابا عن «الخلافة» أثناء وجوده فى الهند فى المرة الثالثة صادرته السلطات الإنجليزية.

كذلك نشر جمال الدين الأفغانى مجموعة من المقالات فى الصحف المصرية ، وفى صحيفة العروة الوثقى التى أصدرها فى باريس وكان يحررها هو وتلميذه الشيخ محمد عبده .  
وقد جمع أحد الناشرين فى بيروت مقالاته التى نشرها فى صحيفة العروة الوثقى فى كتاب واحد .

### ٣ - فكر جمال الدين الأفغانى :

أن ظهور الشخصيات العظيمة فى التاريخ يرتبط بالنهضات الاجتماعية التى لها تأثير حاسم فى توجيه الحياة ، ومن نافلة القول وتكراره أن أى مفكر أو فيلسوف يتأثر إلى حد كبير فى فكره وفلسفته بالظروف التى تحيط به ، وبالبيئة التى نشأ فيها ، وهكذا جاء السيد جمال الدين الأفغانى فى وقت كانت بلاد الشرق تعيش فى جهل وتفارق واستبداد من المستعمرين ، ولكنها برغم ذلك تتطلع إلى من ينير لها الطريق ويأخذ بيدها إلى آفاق العلم والوحدة والحرية .

كذلك يمكن القول أن الأفغانى يصدق عليه قول القائل أن الله يرسل إلى الأمة الإسلامية كل مائة عام من يوقظها ويزيل عنها شوائب الجهالة والأنحراف بالدين الإسلامى ، لقد كان الأفغانى بحق شمعة جاءت تضى ظلام بلاد الشرق لتوقظها وتقودها إلى آفاق وتطلعات الحرية والوحدة والدين الصحيح .

### ٤ - دعوته الدينية :

كان الأفغانى حسب رأى كثير من المؤرخين سنى المذهب يعتقد على الخصوص المذهب الحنفى . وهو إن لم يكن فى عقيدته مقلدا ، إلا إنه لم

يترك السنة الصحيحة مع ميل إلى مذهب الصوفية، وكانت له مثابرة وجلد على أداء فرائض الدين طبقا لمذهبه الحنفى، كما كان يشتمل حماسا وغيرة على دينه الإسلامى وخاصة لما رأى فيه من تحريف وجهالة وسوء فهم لتعاليمه دخلت عليه حسب أهواء الحكام والخلفاء المسلمين لكى يصلوا عن طريق ذلك إلى كراسى الحكم وسدة السلطة أو ليتمتد بهم زمن الحكم، ويورثونه لأبنائهم وأحفادهم من بعدهم عن طريق البيعة، لذلك كان هدف السيد جمال الدين أن يعمل على تحرير عقول المسلمين من القيود التى قيدت بها طوال السنوات الماضية، وأن يقيم الحجة والبرهان على أن الدين ليس شيئا ميتا، ولكنه نظام يصلح للإنسانية المتطورة فى كل وقت ومكان، ذلك أن الدين يقبل التطور، وباب الاجتهاد فيه مفتوح على مصراعيه لكل غير على دينه، ولكل مجتهد لحماية الدين.

ولقد كانت دعوة جمال الدين الأفغانى الدينية تهدف إلى :-  
أ - توحيد كلمة الإسلام وجمع شمل المسلمين فى سائر أقطار العالم بعد أن رأى بنفسه ضعفهم وتفرقهم وسيطرة المستعمر عليهم، وقد آله أن يرى الأمم الإسلامية وقد ضعف أمرها وحيلتها ووهنت قواها، وكان يعتقد أنها لو استطاعت أن تنفض عن نفسها كابوس الاحتلال الأجنبى، وتحررت من تدخل الدول الأجنبية فى شئونها وصلح حال المسلمين وتوافق مع مقتضيات الحياة فى العصر الحاضر، لأصبح المسلمون قادرين على تدبير أمورهم بأنفسهم تدبيرا حسنا دون الأعتما د على الأمم الأجنبية. وما أصلح دعوته هذه مع حال

المسلمين الآن برغم بعد الزمن منذ أطلقه جمال الدين الأفغانى دعوته لأصلاح حال المسلمين.

ب - كذلك كان جمال الدين الأفغانى يرى أن الإسلام فى جميع مسائله الجوهرية هو دين عام للعالم أجمع ، صالح لكل زمان ومكان ، قادر بما فيه من قوة روحية على ملائمة الظروف المتغيرة فى كل جيل وفيه الحل لكل مشاكل الإنسانية التى انغمست فى الماديات. وهذا ما اكتشفه مؤخرا الفيلسوف الفرنسى «روجيه جارودى» بعد دراسته المتعمقة للدين الإسلامى والذى أعلن إسلامه بعدها.

ج - تحقيق المساواة والأخاء بين البشر، لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى ، ولا لأبيض على أسود إلا بالعمل. كما كانت دعوته ضد التفرقة الدينية والتمييز العنصرى.

د - كان الأفغانى يرى طبقا لهذا أن الأديان الثلاثة اليهودية والمسيحية والإسلامية على تمام الاتفاق فى المبدأ والغاية. وتمنى لو اتحد أهل هذه الأديان مثلما اتحدت هى فى جوهرها وهدفها وخاصة أنها منزلة من عند اله واحد. وهذا ما تقوم به مجموعة «الحوار بين الأديان» فى الوقت الحاضر، لعلها تحقق فى يوم ما آراؤه الأفغانى.

هـ - حاول جمال الدين التوفيق بين أهل السنة وأهل الشيعة ، على أساس من التسامح الدينى ، وكان يرى أن خلافهم لا محل له ، بل إنه يقوض دعائم الإسلام ويشوه صورته ، لذلك دعاهم إلى نبذ الخلاف والتحلّى بالألفة والوحدة لأن فى ذلك قوة للدين أمام أعدائه والمتربصين به لهدمه.

وقد قام الأفغانى بدراسة الدين الإسلامى دراسة عميقة وانتهت  
دراسته إلى أن قسم الدين قسمين :

\* قسم العبادات: يرى أن الإنسان يؤديه لربه بمعزل عن كل أحد غيره.  
\* وقسم معاملات: ويرى أنها شرع بين العموم، تدعو أبناء الطوائف  
كلها إلى فعل الخير لهم ولوطنهم. ومن هنا جاءت فكرته أو حلمه  
فى توحيد الأديان.

وكما دعى الأفغانى إلى التوفيق بين أهل السنة وأهل الشيعة،  
كذلك دعا إلى التوفيق بين الدين والعلم. بل إنه كان يرى أن هذا  
التوفيق ضرورة تستوجبها طبيعة كل من الدين والعلم. فالحقائق  
العلمية لا تخالف الدين، والدين لا يخالف العلم.. والقرآن يجب أن  
يجل عن مخالفته للعلم الحقيقى، خصوصا فى الكليات، فإذا لم نر  
القرآن ما يوافق صريح العلم والكليات، خصوصا فى الكليات، اكتفينا  
بما جاء فيه من الإشارة، ورجعنا إلى التأويل وهكذا نرى أن الأفغانى  
يدعو إلى تأويل الدين أو تفسيره بما يطابق ضرورات العصر الحاضر  
وروح المدنية الحديثة.

ومن الجدير بالذكر أن بعض علماء المسلمين الرسميين من أمثال  
«حسن أفندى فهمى» فى تركيا، والشيخ «عليش» فى مصر قد اتهموا  
جمال الدين الأفغانى بخروجه عن الدين واتخذوا من دروسه سببا فى  
طعنه واحتجوا عليه بأنه كان يقرأ بعض الكتب الفلسفية، معتمدين فى  
ذلك بتحريم البعض بالنظر فى هذه الكتب. وقد رد على هؤلاء تلميذه  
الشيخ: محمد عبده فى مقدمة رسالة الرد على الدهريين بقوله: إن  
الدين القوى لا ينفر من العقل، ولا يحقر من شأنه، ولا يحارب أهله.

وهو يقول فى كتابه «الرد على الدهريين» إن الدين «هو السبب فى سعادة الإنسان. فلو قام الدين على قواعد الأمر الألهى الحق، ولم يخاطبه شىء من أباطيل من يزعمونه ولا يعرفونه، فلا ريب يكون سببا فى السعادة التامة، والنعيم الكامل. ويؤمن بأن الإسلام أقيم على أساس من الحكم المتين، ورفع بناؤه على ركن لسعادة البشر ركين».

ودعا الأفغانى إلى إنشاء الجامعة الإسلامية ولكن دعوته فشلت بعد خلع السلطان عبد الحميد التركى عام ١٩٠٨م. وعدم حماس الحكام العرب للفكرة، وظهور التيار الوطنى لكل دولة إسلامية بالإستقلال. وكان يهدف بفكرته هذه عن الجامعة الإسلامية إلى توحيد الأمة الإسلامية.

#### ٥- دعوته وفكره الفلسفى:

درس جمال الدين الأفغانى الدين الإسلامى وتعمق فيه، كما درس الفلسفة والتصوف والأدب، وأتم دراسة هذه العلوم على أكمل وجه حتى صار متمكنا من علمه وعلومه، ومن المعروف أن الأفغانى عاش فى عصر ازدهرت فيه الفلسفة والحكمة وخاصة فى مقاطعة خراسان «أفغانستان الآن»، وقد تأثر الأفغانى بعدد من الفلاسفة العظام أمثال ابن سينا، وجلال الدين الدوانى، والسهروردى وغيرهم والذين جمعوا بين الفلسفة وعلم الكلام والتصوف والأدب. كذلك تأثر الأفغانى بالفلسفة اليونانية وكان ما درسه وتعلمه يدور فى معظمه حول الأمور الاجتماعية والسياسية كما كانت المسائل الاجتماعية عنده مصدر أفكاره، لدرجة أنه كان يحاول أن يجعلها مقياسا للأمور الطبيعية وهذا ما فعله فى الرد

على الدهريين ، حيث كان فى رده عليهم يقول بالتناهى واللاتناهى ، بالجواهر والعرض ، بالجزء الذى لا يتجزأ - كما كان يفعل أرسطو - وكان فى هجومه على الدهريين يستعمل نفس السلاح الذى استعملته المدرسة الحديثة ، وهذا ما يعطيه صبغة النبوغ والعبقرية بدون شك. وقد صب الأفغانى كل غضبه على الدهريين والطبيعيين والملحدين.

لم يكن الأفغانى فيلسوفا متعدد الجوانب مثل أفلاطون وأرسطو عند اليونان ، أو الفارابى وابن سينا مثلا عند المسلمين. ولكن آراؤه الفلسفية اقتصرت على تنفيذ آراء الدهريين والطبيعيين والملحدين أصحاب المذهب المادى ولهذا كتب كتابه المعروف رسالة فى الرد على الدهريين لكى يشرح مذهبهم الذى أخذ فى الانتشار فى بلاد الهند بتحريض من الإنجليز حيث أرادوا هدم الإسلام الذى يعنى فى نظرهم وحدة المسلمين ضد استعمارهم ، ولذلك أخذ الأنجليز يشجعون نشر الأفكار الألحادية فى ثوب العلم الحديث ، وساعدوا بصفة خاصة على نشر مذهب «دارون» وجعلوه أساسا لمذهب مادى الحادى يعرف بأسم المذهب الطبيعى ، هذا المذهب يتلخص فى أن المادة هى كل شىء ، وأنها قديمة ، وأنه يمكن تفسير كل الظواهر فى الكون عن طريق الأسباب المادية ، كما أنه يمكن تفسير الحياة والظواهر النفسية والاجتماعية والأخلاقية بإرجاعها إلى عوامل طبيعية أو قوانين طبيعية موجودة فى الكون وهى التى تسير الكون وما فيه ، ويعنى ذلك إنكار وجود الله ، كما يعنى القول بقدوم العالم وعدم فئائه ، أى إن العالم لا متناهى.

وفى رده على الدهريين «الطبيعيين» استعرض الأفغانى نشأة المذهب الطبيعى منذ أقدم العصور والمراحل التى مر بها هذا المذهب خلال فترات

التاريخ القديم منها والحديث ابتداء من فلاسفة اليونان مروراً بفلاسفة  
الفرس وأشهرهم «مزدك» الذى نادى بالإلحاد والإباحية وقال إن الدين  
والأخلاق لا تنتشر إن العدل، وإنما يقرر الظلم ويحولناه إلى أمر مشروع  
ومروراً أيضاً بالطبيعيين المسلمين والذين عرفوا بأسم: الباطنية والذين  
ظهروا فى مصر ثم ذاعت فلسفتهم فى سائر البلاد الإسلامية وخاصة فى  
إيران، وقد أقامت الباطنية تعاليمها على أمور ثلاثة هى:

\* إثارة الشك فى القلوب حتى يتفكك عقد الإيمان.  
\* الأقبال على الشاك وهو فى حيرته ليمنونه بالهداية إلى اليقين.  
\* أوعزوا إلى دعائهم أن يلبسوا لرؤساء الدين الإسلامى لباس الخدعة  
وجعلوا من شروط الداعى أن يكون بارعاً فى التشكيك، مقتدراً على  
أشراب القلوب مطالبة.

وانتهى الأفغانى فى رده على الدهريين بتفنيد آراء كل من «فولتير»  
و «روسو» واعتبرهما من دهريى العصر الحديث ثم رد أيضاً على «دارون»  
فى نظريته التطورية واعتبره ملحداً ومنكراً لوجود الله.

وقد انتهى الأفغانى فى رسالته فى الرد على الدهريين إلى أن:  
الدين والأخلاق خير ضمان ضد أسباب الشر وضروب الفساد التى  
تقضى على كل فرد، وأن الدين اكسب عقول البشر ثلاث عقائد وثلاث  
خصال:

\* **العقيدة الأولى:** الإنسان كائن منفصل عن الطبيعة وهو أسمى من  
الحيوان.

\* **العقيدة الثانية:** كل ذى دين أمتة أشرف الأمم ومن لا دين له فهو  
فى ضلال.

\* العقيدة الثالثة: إن الإنسان جاء إلى هذه الحياة الدنيا لكي يحصل على كمال يساعده في الوصول إلى عالم أسمى من العالم الدنيوى، والانتقال من دار ضيقة إلى دار فسيحة الساحات لا تنقضى سعادتها ولا تنتهى مدتها. وهذا يؤكد رأيه فى خلود الروح وسعادتها فى الآخرة.

أما الخصال الثلاثة فهى :-

الخصلة الأولى: هى فضيلة الحياء. وهى انبعاث داخلى فى النفس أقوى أثرا من أى قهر يوجبه المجتمع أو القانون. والأنسان الحر.. هو الذى لا يخجل، لأنه يخاف الناس أو النقد، وإنما لأن نفسه الحرة تعاف وترفض الرذيلة وتنفر منها.

الخصلة الثانية: هى الأمانة التى تعتبر أساسا للمعاملات والمبادلات.

الخصلة الثالثة: هى أن حاجات المرء لا تنقضى مع قصور جهده إلا بتعاونه مع الآخرين. وهذا هو السبب فى حاجة الأنسان الضرورية لكي يستعين بأقرانه من البشر حتى يستبدل بضعفه قوة، وتجفوه طمأنينة وأمنا. وهذا يبين رأيه فى أن الأنسان كائن اجتماعى بطبعه.

كذلك قاوم الأفغانى الفلسفة المادية لأنها تهدم الأخلاق وتشيع الرذيلة وتنكر وجود الله والبعث والحساب، وتطلق البهيمية من عقالها وتتخذ من الصراع الطبقي شعاراً لتحقيق الجنة الموعودة، وتجعل من الفرد آلة مسخرة لمنفعة الآخرين وليس غاية فى ذاته. وتلغى المشاعر الإنسانية فى المجتمع.

رأى الأفغانى فى دور العقل والأخلاق والسياسة:

أ - يؤمن بدور العقل فى الإنسان ، فهو يعتبر العقل هادياً ومرشداً وقائداً ووسيلة فى الحكم على الأشياء كما أنه وسيلة للمعرفة .  
ب - أما الأخلاق والسياسة فقد كان الغرض منها عند الأفغانى هو «الكمال» الذى يعنى الانكشاف الروحى أو التجلى الوجدانى والسمو بالغرائز وفى هذا يشبه الصوفية .

ج - تدور دعوته السياسية حول إنهاض الأمة الإسلامية من ضعفها ، وتنبيهها للقيام على شئوننا حتى تلحق بالأمم العزيزة القوية ، وبهذا يعود للإسلام شأنه وللدين الحنيف مجده .

ولقد كانت وسيلة الأفغانى فى تحقيق غايته ودعوته هى الثورة السياسية ، وقد ظن أن هذه الوسيلة أسرع الطرق للوصول إلى ما يريد من تحرير الشعوب الإسلامية من نير الاستعمار فى أقرب وقت ، حتى إذا ما تحررت هذه الشعوب واستعادت حريتها أمكنها أن تنظم شئون حياتها .

## ٦- أهداف الأفغانى :

يمكن القول أن الأفغانى كان له هدفان :

الأول دينى والثانى سياسى ، فالهدف الدينى يتمثل فى جهوده إلى التوفيق بين الدين الإسلامى والعلم الحديث ، أما هدفه السياسى فيتمثل فى تخليص الوطن الإسلامى من ظلم الاستعمار الأوروبى والإحاطة بنظم الحكم الظالمة المستبدة ، وتكوين الجامعة الإسلامية الكبرى والوحدة الشرقية العامة .

وقد تعرض جمال الدين الأفغانى فى حياته وبعد مماته لحملة ضارية من أعدائه وأعداء الإسلام سواء من المسلمين أو من المستعمرين الغربيين الجاحدين له ولدوره العظيم فى بعث بلاد الشرق من سباتها العميق .

إن حياة الأفغانى وتاريخه ونضاله شاهد عليه ، وكتابات تلاميذه عنه خير دليل على قيمة الرجل وعلو مكانته ، بل إن كتابات بعض العلماء الغربيين المنصفين والذين عايشوا الأفغانى خير شاهد على عظمته ونبله .

### دعوته السياسية:

تدور دعوته السياسية حول أنهاض الأمة الإسلامية من ضعفها. وتنبئها للقيام على شؤونها حتى تلحق بالأمم العريزة والقوية. وبهذا يعود للإسلام شأنه وللدين الحنيف مجده.

وكان للأفغانى قبل حضوره إلى مصر ماضى سياسى ، وكفاح مستمر لتحرير الشعوب الإسلامية من سيطرة الاستعمار الغربى ومن سيطرة الملوك أو الخلفاء المستبدين. وقد ظهرت دعوته السياسية بوضوح فى مصر بعد أن ساءت حالتها الداخلية وانفتح المجال للتدخل الأوربى فى شؤونها منذ عام ١٨٧٥م حتى وقع احتلال إنجلترا لمصر عام ١٨٨٢م. وقد أخذ على عاتقه تنبيه الأذهان وإشراك الطبقة المتعلمة فى الحكم وحثهم على الكتابة السياسية فى الصحف لكى يرشدوا النواب إلى واجباتهم ويبصروا الشعب بحقائق الأمور. وقد نشر الأفغانى مقالاً فى جريدة مصر عن الحكومة الاستبدادية هاجم فيه الحكم المطلق وبين أنواع الحكومات الاستبدادية. كما ألقى الخطب السياسية التى تبصر المصريين بحقوقهم ، كما أنشأ الحزب الوطنى الحر فى أوائل عام ١٨٧٩م ودخل فيه كثير من العلماء والنواب منهم الشيخ محمد عبده والسيد عبد الله النديم وحسن الشريعى وغيرهم.

ونظراً لموقفه السياسى فى مصر وتحريضه للمصريين أمر الخديو توفيق بالقبض على جمال الدين الأفغانى وترحيله إلى ميناء السويس

حيث نقلته باخرة إلى بلاد الهند. وقد قامت الثورة العربية وهو في الهند فكان من أشد مؤيديها ويقول المؤرخ المصرى عبد الرحمن الرافعى فى كتابه «الثورة العربية لاحتلال الإنجليزى» عن جمال الدين الأفغانى: «ولو أنه بقى فى مصر حين نشوب الثورة ولكان من الجائز أن يمدها بآرائه الحكيمة وتجاربه الرشيدة فلا يغلب عليها الخلل والشطط، ولكن شاءت الأقدار والدسائس الإنجليزىة أن يبقى تأييده من خارج مصر وهى أحوج ما تكون إلى الانتفاع بحكمته وصدق نظره فى الأمور».

وقد كانت وسيلة الأفغانى فى تحقيق غايته ودعوته هى الثورة السياسية. وقد ظن أن هذه الوسيلة اسرع الطرق للوصول إلى ما يريد من تحرير الشعوب الإسلامىة من الاستعمار فى اقرب وقت، حتى إذا ما تحررت هذه الشعوب واستعادت حريتها وأمكنها أن تنظم شؤون حياتها. ولذلك كان الأفغانى يرفض الإصلاح التدرىجى بحجة انه بطئ الخطى. وفى هذا اختلف مع تلميذه الشيخ محمد عبده الذى كان يؤمن بالإصلاح الشامل التدرىجى.

ويمكن القول بعد ذلك أن الأفغانى كان له هدفان: الأول دينى والثانى سياسى. فالهدف الدينى يتمثل فى جهوده إلى التوفيق بين الدين الإسلامى والعلم الحديث حتى يثبت قدرة الدين على التطور والتقدم ومسايرة العصر ومتطلباته، وبهذا يعود للدين الإسلامى وجهه الصحيح. أما هدفه السياسى فى تمثلى فى تخليص الوطن الإسلامى من ظلم الاستعمار الأوروبى والإحاطة بنظم الحكم الظالمة المستبدة، وتكوين الجامعة الإسلامىة الكبرى والوحدة الشرقىة العامة. وكانت وسيلته فى تحقيق ذلك هى الثورة السياسية.

وخلاصة القول.. أن جمال الدين الأفغانى قد أدى مهمته الدينية فى الإصلاح والتجديد وطلب من الأمم الإسلامية أن تفهم الإسلام على حقيقته وترجع إلى مبادئه الصحيحة ونظرته الأولى وتطهره من الأوهام والخرافات التى أدت إلى تأخر المسلمين وتخلّفهم. ومن الناحية السياسية فقد أثار فى النفوس روح العزة والكرامة والتطلع إلى الحرية، وغرس بذور الحركات الوطنية فى مختلف البلاد الشرقية. وهو بذلك يكون قد قام بمثل ما قام به زعماء غربيون من أمثال.. واشنطن وماتزىنى وغيرهما.

ومن الناحية الفلسفية والفكرية فقد أدى المهمة التى قام بها فى أوربا فلاسفة الفكر من أمثال روسو ومونتسكيو وغيرهما حيث عمل على إنارة البصائر وتوجيه الأفكار إلى البحث عن الحقائق، واتخاذ العقل وسيلة للمعرفة بعد تحريره من قيود التخلف والجهود والتقليد.

ذلك هو الأفغانى.. حكيم الشرق وباعث النهضة الشرقية وعنوانها فهل أدينا له حقه من الوفاء والتكريم؟.

ولعل أهم ما يمكن أن يأخذ عليه هو أنه كان يرفض الإصلاح التدريجى بحجة أنه بطئ الخطا ويدعو إلى الإصلاح الشامل الثورى. فى حين كان تلميذه الشيخ محمد عبده يؤمن بالأصلاح الشامل التدريجى. إن دعوة الإصلاح التى نادى بها الأفغانى منذ نهاية القرن التاسع عشر يتردد الآن صداها ولكن تأتينا الدعوة من الخارج، وقد رفضناها وطالبنا بأن تكون دعوة الأصلاح من الداخل.

فهل يعيد التاريخ نفسه؟! ولكن ليس الآن على يد الأفغانى ولكن نريدها نحن على أيدينا ونابعة من دينينا وثقافتنا وحضارتنا العربية والإسلامية.